أطفالنا والبيئة
رؤية إسلامية تربوية

إعداد

د / محمد محمود العطار

دكتوراه في التربية تخصص تربية مقارنة

كلية التربية – جامعة كفر الشيخ

مجلة رعاية وتنمية الطفولة - جامعة المنصورة

العدد (٥) – المجلد (٢) – ٢٠٠٧م

أطفالنـــــــا والبيئـــــــة

رؤية إسلامية تربوية

إعداد

د/ محمد محمود العطار

دكتوراه في التربية تخصص تربية مقارنة

كلية التربية – جامعة كفر الشيخ

تمهيد

الأطفـــال هـــم ثروة الحاضر وعدة المستقبل في أي مجتمع يخطط لبناء الإنسان الـــذي يعمـــر به أرضه، والأطفال هم بهجة الحياة ومتعة النفس لأننا لو نظرنا إلى الحـــياة فـــي وجهها المضيء لرأينا أن ما يمنحها الجمال والسعادة أمران اثنان هما المال والأبناء.

قال تعالى : "الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" (سورة الكهف– الآية ٤٦).

وفـــى أهمية الطفولة يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم "الولد من ريحان الجنة" (رواه الحكيم الترمذى).

فالطفولـــة هـــي الغد والأمل، وطفل اليوم هو رجل المستقبل، وثروة الأمة ولبنة أساســية في بناء مجتمع الغد، ومستقبل أي مجتمع يتوقف إلى حد كبير على مدى اهـــتمامه بالأطفـــال ورعايـــتهم وتهيئة الإمكانات التي تتيح لهم حياة سعيدة ونمواً ســـليماً يصل بهم إلى مرحلة النضج السوي، فتنشئة الأطفال في بيئة صحية ضمان للمستقبل.

ولقـــد خلق الله الكون فأحسن خلقه وجعله ملكاً للإنسان، وخلق له كل ما يحتاج إلـــيه، من رض وسماء، وبحار وأنهار، ورياح وأمطار، وشمس وقمر، قال تعالى : "أَأَنْـــتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالأَرْضَ بَعْـــدَ ذَلِـــكَ دَحَاهَـــا أَخْـــرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا" (سورة الـــنازعات الآيـــات مـــن٢٧: ٣٢)، ولكن الإنسان يتدخل فيما حوله، فيفسده ويلوث

البيـــئة، قـــال تعـــالى : "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" (سورة الروم الآية ٤١).

والبيئة من حولنا هي الأرض التي نعيش فوقها، ونتمتع بخيراتها، والهواء الذي نتنفســه، والماء الذي نرتوي به، وهى مصدر الحياة وسبيل الراحة والسعادة، ومن المعروف أن البيئة على الوجه العموم تشمل كل ما يحيط بالإنسان من مكونات حية أو غير حية.

فالبيـــئة خلقها الله وسخرها لنا وأوصانا بالحفاظ عليها، ولكن هذه البيئة تتعرض لما يلوثها، ويشوه جمالها ويجعلها سبباً للأمراض والعلل.

أن تربية الأطفال منذ الصغر على المحافظة على البيئة وحسن استثمارها والعمل على تطويرها أمر ضروري، فالتربية عملية تستمر طوال العمر.

فمـــن حق كل إنسان أن يعيش في بيئة غير ملوثة تكفل له حاجاته الأساسية من طعـــام وشـــراب وكساء ومأوى، وتتيح له مجالاً للترويح عن النفس والانطلاق إلى الأماكـــن الخلويـــة الجميلة، ويقابل هذا الحق واجباً هو ألا يلوث هذا الإنسان بيئته، وألا يسرف في استخدام ما تنتجه البيئة من مصادر ملك الجميع.

أن القـــدرة علـــى الإحساس بالجمال تجعل الطفل أغنى روحاً وأنقى نفساً وأطيب خُلقـــاً، والقـــدرة على الإحساس بالشيء الجميل لا تأتى عفوية من تلقاء نفسها، بل تنمو وتتطور لدى الطفل منذ وعيه الحياة.

ومن الخصائص الرئيسية لشريعة الإسلام، الإنسانية. أنها دين الإنسان، الإنسان الـــذي هـــو مخلوق لله ذو مكانة خاصة فهو أكرم المخلوقات على الله تعالى فيقول ســـبحانه وتعـــالى : "وَلَقَـــدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً" (سورة الإسراء الآية ٧٠).

إن تكـــريم الإنسان، وتحقيق الخير له، اقتضت من الله سبحانه وتعالى أن يسخر لـــه مـــا في الكون من مخلوقاته ونعمه: الماء والهواء، الحيوان والنبات والجماد، السماء والأرض، الشمس والقمر، الليل والنهار.

والآيات القرآنية الدالة على ذلك عديدة. فقد قال تعالى "أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ" (سورة لقمان الآية ٢٠)، "اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا" (سورة إبراهيم الآيات من ٣٢ : ٣٤)، "اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة الجاثية الآيتان ١٢، ١٣)، "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ" (سورة الملك الآية ١٥)، "فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ" (سورة ص الآية ٣٦).

من تلك الآيات الكريمات ندرك أن الله تعالى قد بسط وهيأ موارد الكون لمنفعة الإنسان، فلا يستعصي أي شئ منها عليه، إذا تيسرت سبله وروعيت سنن الله فيه.

ما هي البيئة ؟

البيئة لفظة شاع استخدامها فى السنوات الأخيرة، بحيث أصبحت تجرى على ألسنة العامة والخاصة، وقد أفرط الكثيرون فى استعمالها. فنحن نسمع من يقول "البيئة الاجتماعية" أو "البيئة الحضارية" أو "البيئة الثقافية".. وغير ذلك. حتى يخيل للمرء أن هذه الكلمة باتت ترتبط بجميع مجالات الحياة.

ورغم ذلك، فإن المفهوم الدقيق لكلمة البيئة ما يزال غامضاً للكثيرين، لا سيما وأنه ليس هناك تعريف واحد محدد يبين ماهية البيئة، ويحدد مجالاتها المتعددة.

وتعرف البيئة بأنها "مجموع النظم الطبيعية والبيولوجية التي تحيط بالمجتمع الإنساني والكائنات الحية أي الإطار الذي يمارس فيه البشر حياتهم وأنشطتهم المختلفة".

كما يعرف علم البيئة الحديث (الإيكولوجيا Ecology) البيئة بأنها "الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان، بما يضم من ظاهرات طبيعية وبشرية يتأثر بها ويؤثر فيها".

فالبيئة هي كل ما تخبرنا به حاسة السمع والبصر والشم والتذوق واللمس، سواء أكان هذا من خلق الله سبحانه وتعالى (الظاهرات الطبيعية) أم من صنع الإنسان (الظاهرات البشرية).

وقد أوجز إعلان مؤتمر البيئة البشرية الذي عقد فى استوكهولم عام١٩٧٢ مفهوم البيئة بأنها "كل شئ يحيط بالإنسان".

الإسلام وحماية البيئة

جاء الإسلام لينظم شئون الناس جميعها فاهتم بتنظيم علاقة الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى، كما نظم علاقته بالكون من حوله ودعى إلى الاستغلال الأمثل للموارد البيئة التي خلقها الله تعالى للإنسان والمحافظة عليها والابتعاد عن إفسادها.

وتمثل حماية البيئة الطبيعية والاجتماعية هدفاً من أهم أهداف الإسلام الحيوية، وتوضح مظهراً من أبرز مظاهر عنايته بسلامة الإنسان وحماية الطبيعة، وحرصه على نظام الحياة وسعادة النوع البشرى، واستمرار وجوده على هذه الأرض.

وقد اتخذ الإسلام خطوات فريدة لحماية الصحة والبيئة وسلامة الحياة، يمكن تلخيص أبرزها فيما يلي :

١- التوعية والتثقيف وتربية الإنسان على العناية بالصحة والطبيعة، وحماية الأحياء والحياة على هذه الأرض، منطلقاً من مبدأ عقدي هو أن ما صنعه الخالق سبحانه يتصف بالكمال والإتقان والصلاح، ولا شئ خلق عبثاً في هذا الوجود، وقد صور القرآن ذلك بقوله : "صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ" (سورة النمل الآية ٨٨).

٢- الحث على الطهارة : ولعل أبرز الإجراءات الوقائية لحفظ البيئة البشرية هي عناية الإسلام بتربية الإنسان على الطهارة والنظافة والدعوة إلى تنظيف الجسد والثياب والأثاث وقد جاء ذلك البيان القرآني في قوله تعالى : "وَثِيَابَكَ فطهِّرْ" (سورة المدثر الآية ٤).

٣- النهى عن تلويث البيئة : وكما حث الإسلام على الطهارة فإنه ينهى عن تلويث البيئة وإفسادها، ومن هذه المناهى ما جاء عن الرسول عليه الصلاة والسلام نهيه عن البصاق عل ى الأرض لما له من مضار صحية ومردودات نفسية تخالف الذوق وتسير الاشمئزاز.

لقد خاطب الإسلام الإنسان مدافعاً عن البيئة وسلامة الحياة بقوله : "وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ"(سورة الأعراف الآية ٨٥).

إن جميع موارد الحياة قد خلقها الله لنا، وبالتالي فإن الانتفاع بها يعتبر في الإسلام حقاً للجميع، لذلك يجب أن يراعى في التصرف فيها مصلحة الناس الذين لهم فيها شركة وعلاقة، كما لا ينبغي أن ينظر إلى هذه الملكية وهذا الانتفاع على أنهما منحصران في جيل معين دون غيره من الأجيال، بل هي ملكية مشتركة بينهما جميعاً، ينتفع بها كل جيل بحسب حاجته دون إخلال بمصالح الأجيال القادمة، كأن يسئ استثمارها أو يشوهها أو يفسدها، وذلك باعتبار أن كل جيل لا يملك سوى حق الانتفاع دون التملك المطلق.

أن حق الاستثمار والانتفاع والتسخير الذي شرعه الله للإنسان يتضمن بالضرورة التزاماً منه بالمحافظة على كل الموارد الطبيعية كماً وكيفاً. فلا يجوز للإنسان إفساد البيئة بإخراجها عن طبيعتها الملائمة لحياة الإنسان وقراره فيها كما لا يجوز استثمار تلك الموارد أو الانتفاع بها بشكل غير رشيد يفسد أو يعرض أقواتها ومواردها للفساد والتشويه.

أن موقف الإسلام من البيئة وموارد الحياة هو موقف إيجابي ورائد لأنه ينطلق في أساسه من المبدأ القرآني الخالد، فكما يقوم على الحماية ومنع الإفساد فيها يقوم أيضا على العمارة والبناء والتنمية، وهذا يتجلى في فكرة عمارة الأرض

بالـــزراعة والغرس والبناء لقوله تعالى : "هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا" (سورة هود الآية ٦١).

وعـــن أنـــس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنســـان أو بهيمة إلا كان له به صدقة" (رواه مسلـــم).

الطفل والتنشئة البيئية

الإنســـان هو اللبنة الأولى والأساسية التي يقوم عليها صرح المجتمع وهو الفكر المخطط والقوة المنفذة وكلما صلح هذا الإنسان استقام بناؤه واكتملت قيمة والطفل هو بذرة هذا الإنسان فإن كانت صالحة فهو صالح.

والتنشئة البيئية هي عملية تعليم وتلقين وتأهيل وتزويد الشخصية بمجموعة من القـــيم والمفاهيم والاتجاهات التي تقودها وتسير حركتها تجاه المحافظة على البيئة وصيانتها.

والطفـــل هو ركيزة التنمية ونقطة الانطلاق الصحيحة نحو كل ما يتصل بالإنسان ويكـــاد يجمـــع علمـــاء التربـــية على أن الخبرات المبكرة التي يكتسبها الطفل فى الســـنوات الأولـــى بعـــد ميلاده تلعب دوراً هاماً في تكوين وبناء الشخصية وتشكيل ســـلوكه، فمما لا شك فيه أن التعامل مع من تقادمت أفكارهم وقيمهم واعتادوا على أساليب التصرف مع البيئة سواء أكانت خطأ أم صواب من الصعب جداً إحداث تغيير فـــي ســـلوكهم البيئي أما بالنسبة للطفل وهو الصفحة البيضاء الناصعة تنقش عليها القـــيم البيئـــية وتطبيقاتها التي رآها وسمع بها وعاش معها في خياله وواقعه فلابد لها أن تظل معه مهما كبر ومهما تعرض لمؤثرات.

إن الاهـــتمام بالتنشـــئة البيئـــية للطفل الذي سوف يضطلع بمهمة صيانة البيئة أســـاس هـــام لتكويـــن وعـــى تام وإدراك يصل إلى ضمير الإنسان ويتحول إلى قيم اجتماعية إيجابية وضوابط داخلية للسلوك الذي يحافظ على البيئة بصرف النظر عن وجود قوانين رادعة لصيانة البيئة فبقدر إعداد الإنسان وتنشئته تنشئة بيئية سليمة

بقدر ما تتحقق أهداف تكوين الضبط الداخلي لسلوك الأفراد والجماعات تجاه صيانة البيئة والحفاظ عليها.

أن الفترة العمرية الطفولية في كل المذاهب والفلسفات هي فترة الإعداد الحقيقي في الهرم العمرى للفرد فبالله ماذا نعدو؟ وأي شئ نقدم إذا فاتتنا هذه الفترة ومن ناحية أخرى فإنه لا يفوتنا أن شخصية الطفل لم تتولد لديها الحساسية ضد الجديد بل العكس هو الصحيح إذ أنها ترحب بالانفتاح التام نحو كل ما يعرض عليها من نماذج.

ومما سبق يتأكد لنا أن التنشئة البيئية تبدأ منذ الصغر وسوف نعرض لدور بعض مؤسسات النظام الاجتماعي في تنشئة الطفل بيئياً كالأسرة ورياض الأطفال والمدرسة ووسائل الإعلام وغيرها.

١ – الأسـرة

الأسرة هي الجماعة الأولى التي تستقبل الطفل وليداً، وتمثل الأسرة بالنسبة لأطفالها الصغار كل العالم المحيط بهم، والأسرة هي التي تحول الطفل من مجرد كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي يشعر بذاته وأنه مستقل عن ذوات الآخرين.

والأسرة ليست مجرد كيان بيولوجي أو فسيولوجى بين الأزواج والآباء، وإنما هي أيضاً كيان أو نظام سوسيولوجى يحدد لكل عضو أو فرد من أفرادها عدة التزامات يلتزم بها كل عضو فى الأسرة تجاه الآخر من خلال مجموعة من الحقوق والواجبات يرتضيها المجتمع.

وتلعب الأسرة دوراً هاماً في تكوين وتشكيل الاتجاهات والقيم البيئية لأطفالها، ولاشك أن الأطفال يتأثرون بالاتجاهات والقيم والأفكار البيئية التي يحملها الآباء، ومما يزيد من أهمية الأسرة كمؤسسة للتنشئة البيئية هو المرحلة العمرية المبكرة التي يبدأ الطفل فيها تكوين الاتجاهات والقيم والأفكار، وهو ما يساعد على استمرار حملهم لهذه الأفكار والاتجاهات والقيم لمدة طويلة.

وكثير من الأسر تهمل تعليم أطفالها السلوكيات التربوية البيئية منذ الصغر وهذه من الأمور الخطيرة التي تتفاقم حدتها مع نمو الطفل ووصوله إلى مرحلة المراهقة والبلوغ حيث يصبح إهمال البيئة لدى الطفل جزء من نسيج سلوكه وشخصيته.
فالطفل أن رأى الوردة واعجبته قطفها دون أية محاذير، وهو إن أكل أو شرب واراد التخلص من البقايا في الحال ألقاها على قارعة الطريق دونما حرص على نظافة عامة أو خشية على إيذاء الذوق.

أن الطفل الذي ينشأ فى أسرة تفتقد فيها القدوة البيئية الصالحة ويفتقر فيها الآباء والأمهات إلى الاهتمام بعناصر البيئة بدءا بالمنزل ومروراً بالشارع وانتقالا إلى دور الحضانة ورياض الأطفال ثم المدرسة وغيرها، ينشأ هذا الطفل بعيدا كل البعد عن الاهتمام بقضايا البيئة مهما تلقن من تعليمات، ومهما تعلم من بديهات الغرس البيئى.

فالأسرة يجب عليها أن تعمل بكل جدية على تدريب الطفل على السلوك الإيجابي الجميل وعلى تجنب السلوك السلبي القبيح، فمن أجل أطفالنا يكون التزامنا بالعادات البيئية السليمة، ومن أجل أطفالنا يكون حرصنا على التقاليد التي تحمى البيئة وتحافظ عليها، ومن هذا الصدد فإن وسائل الإعلام ملقى عليها مسئولية كبيرة، فعليها أن توعى الأمهات والآباء بالأساليب السليمة للتنشئة البيئية، على أن مسئولية الأسرة لا تنتهي بمجرد انتقال الطفل من المنزل إلى دور الحضانة ورياض الأطفال أو المدرسة، فدور الأسرة بالذات في مجال التوجيه البيئي عملية مستمرة، وقد تختلف أساليب هذا التوجيه البيئي كلما تقدمت بالمواطن السن، فستظل القدوة الأسرية الصالحة أو السيئة تؤدى دورها وسيكون لتصرف الآباء والأمهات فى النواحي البيئية اثر خطير في التركيبة النفسية للطفل تجاه البيئة.

ويرتبط الدور المؤثر للأسرة بالتكوين البيئي للطفل ارتباطاً وثيقاً بشكل المرأة على وجه التحديد بتركيب هذه المرأة الثقافي ووضعها الاجتماعي ومشاركتها فى بناء المجتمع وتفهمها للمشكلات البيئية فالمجتمع الذي يسمح للمرأة العاملة برعاية

طفلهـــا أطول مدة ممكنة مما يضمن حصول الطفل على الرعاية المطلوبة له، يسمح له بغرس التعاليم البيئية السليمة في نفوس الأطفال.

والمـــرأة هي العنصر الأساسي في الحفاظ على البيئة بما تؤديه من دور أساسي فـــي التنشـــئة البيئية السليمة للأبناء منذ مراحل مبكرة من العمر.. ويبدأ هذا الدور للأم منذ إدراك الطفل لما حوله من مظاهر وصور وأشكال ويمكن للأم أن تعمل على تدريـــب ابنها على المبادئ البيئية البسيطة الملائمة لعمره فتبدأ بتدريبه على نظافة الحجـــرة والسكن الذي يعيش به وتدريبه على وضع النفايات في الأماكن المخصصة لهـــا. ومـــن الأســـاليب التي ينبغي للأم انتهاجها من أجل إيصال المفاهيم التربوية تعـــريف أبـــنائها وتبصيرهم بالأضرار والمخاطر الصحية المترتبة على إهمال البيئة كـــأن تقـــول الأم : إن إلقاء الملوثات في المنزل أمر ترتب عليه العديد من الأضرار الصـــحية. ومـــن أبرز السلوكيات البيئية المهمة التي يجدر بالأم تعويد أبنائها على ممارســـتها وضـــع المخلفـــات فـــى الأماكن المخصصة لها وترتيب المكونات البيئة المخـــتلفة والاعـــتدال فـــي الـــتعامل مع الموارد البيئية بعيداً عن الإفراط والتبذير ونضرب مثلا لذلك بتعويد الأبناء على عدم فتح صنبور المياه بلا ضرورة والإسراف فى استخدام المياه.

أن الآبـــاء والأمهات هم المسئولون بالدرجة الأولى عن إبعاد أشباح التلوث عن أبـــنائهم، وأن كان بعضهم لا ينتبه إلى موطن الخطر بل أنه قد يأتى بمصدر الخطر ذاتـــه، ويضعه في يد طفله بل وفى فمه. فالكثير من الآباء والأمهات يحرصن على توفـــير كمـــيات كبـــيرة من الدمى واللعب البلاستكية لأطفالهم، مثل : حلقة الأسنان (عضاضة)، البط المطاطي، وألعاب أخرى مختلفة الأشكال والأنواع وهى لعب جميلة حقاً، وملائمة لميزانية معظم الأسر لرخص ثمنها. غير أن لهذه اللعب وجها مؤسفاً بـــل مزعجاً يجب التنبيه له، أنها تعرض الأطفال لأمراض عديدة، تدمر خلايا الجهاز التناســـلي، فضلاً عن إلحاق أضرار فادحة بالكبد والكلى، وذلك لاحتوائها على مادة كلوريـــد البوليفنيل السامة، والمؤسف أيضا أن جانباً من الآباء والأمهات لا يدركن هذه الحقائق المؤلمة.

ولابد من توعية أفراد الأسرة بدورهم فى تنشئة الأطفال ليكونوا أصدقاء للبيئة حرصاً على سعادتهم وتحسين نوعية الحياة، وينطبق هذا على أفراد المجتمع المتصل بالطفل كما يمكن استخدام الحدائق العامة وتربية النبات وملاحظة بعض الحيوانات والعناية بها في إطار الصحة العامة للأطفال إذ أن بعض هذه الحيوانات مثل القطط والكلاب لابد وأن تبقى بعيداً عن الأطفال بقدر الإمكان، وعن طريق ذلك يمكن أن يتعلم الأطفال احترام النبات وحبه والعناية به وحسن التعامل مع الحيوان.

أن دور الأسرة الأساسي في الحفاظ على البيئة وعدم الإضرار بها يتمثل في عدة جوانب منها :

- الارتفاع بالمستوى الصحي لأطفالها، باتباع الأساليب الصحيحة في التغذية والتربية.
- توجيه الأبناء إلى الاستخدام الرشيد لجميع المواد والموارد مثل السلع المختلفة والمياد ومصادر الطاقة المختلفة ومنها بشكل خاص المنظفات والأدوية.
- إيجاد بيئة منزلية سليمة عن طريق الإشراف على أعمال المنزل اليومية من إعداد الطعام واعمال النظافة.
- تعريف الأبناء وتوعيتهم بأهمية المساحات الخضراء، باعتبارها الرئة التي تتنفس بها المدن، والحد من تقطيع الأشجار، والعمل على استزراع الأحزمة الخضراء للحد من التصحر وتلوث الهواء.

٢ – رياض الأطفال

إذا كانت الأسرة تضع بذور التربية السليمة للأطفال فإن رياض الأطفال تعد فى المجتمع الحديث المكان المهيأ لتربية وتنشئة الأطفال اجتماعياً وبيئياً بحيث يصبحون مواطنين صالحين فيما بعد، وتعتبر رياض الأطفال بيئة تربوية مكملة لدور الأسرة في تنشئة الطفل وتطبيعه الاجتماعي.

وتعـرف رياض الأطفال بأنها المؤسسة التربوية الاجتماعية التي يقضى فيها الطفل بعضاً من اليوم في نشاط متنوع يساعده على النمو المتكامل في المرحلة العمرية ما بيـن ٤: ٦ سنوات تقريباً- وهى مرحلة الطفولة المبكرة- وهذه المؤسسة توفق ما بيـن تسامح الأسرة من جهة وتعويد الطفل على النظام من جهة أخرى. وعلى ذلك فهـي ليست مدرسة تقليدية يقاس نجاحها بمستوى التعليم الذي يحققه الطفل، وإنما بالمرح والسعادة وتحقيق ذاته وبالعادات الطيبة التي يكتسبها وبالمهارات والمفاهيم التـي يسـتوعبها. ومن ثم فإن منهج الأنشطة للروضة يبنى على أسس علم نفس الطفل والتربية والعلوم الاجتماعية والبيئية والصحية بما يتناسب مع حاجات الأطفال ودرجة نضجهم.

فالروضـة هـي المؤسسة الاجتماعية الرئيسية السائدة للأسرة التي تستطيع أن توفـر المعلومات والخبرات والممارسات اللازمة لنجاح التربية البيئية وأهدافها في تنمية الوعي البيئي والاهتمام بالبيئة وما يرتبط بها من مشكلات تحيط ببيئة الأطفال وإكسـابهم المعارف والاتجاهات والدافعيات وتعلم أساليب العمل الفردي والجماعي لمواجهـة مشـكلات البيـئة البسيطة التي يمكن لأطفال هذه المرحلة التعامل معها والحيلولة دون ظهور مشكلات جديدة.

وتخـتلف أهـداف التربية في مرحلة رياض الأطفال عنها في أي مرحلة دراسية أخـرى، فـلا تهدف إلى تعليم قراءة كلمات أو كتابة سطور أو تحفيظ معلومات أو تلقيـن حقـائق علمـية، بـل تهـدف وبشكل أساسي إلى بناء الشخصية الإنسانية المتوازنة من النواحي الصحية والعقلية والانفعالية والاجتماعية.

فالروضـة تكسب الطفل العادات السليمة والصحيحة التي تعبر عن رقى المجتمع وحضاراته كالنظام والتعاون والصدق والأمانة. والانتماء وحب البيئة.

ومـن الضـروري وجود حديقة بروضة الأطفال وهى تستخدم للنشاط الخارجي وتجهز بألعاب مثل المراجيح وأجهزة التسلق وبيوت الاختفاء.. ويقوم الأطفال بزرع بعـض النـباتات وتتبع نموها والتعرف على الأوراق والأزهار كما يوضع فى ركن

منها قفص لبعض أنواع الطيور أو الحيوانات، فالحديقة يرى الطفل فيها صورة حقيقية للحياة الصادقة في العائلة وفى المجتمع.

ومما سبق لا ينبغي إهمال دور رياض الأطفال في تنشئة الأطفال بيئياً وذلك من خلال مساعدة الطفل على اكتشاف محيطة بالخروج من الفصل الدراسي إلى الحدائق العامة والتعرف على البيئة المحيطة واستخدام اللوحات الجدارية المعبرة عن محيط البيئة وما يتواجد فيها من حيوانات ونباتات ورواية القصص الموجزة، وكذلك يجب أن تسعى الروضة كبيئة تربوية لطفل ما قبل المدرسة إلى مساعدة الأطفال والمحيطين بهم على اكتساب الوعي بالبيئة الكلية والمشكلات المرتبطة بها والمعرفة والقيم الاجتماعية والمشاعر القوية إزاء الاهتمام بالبيئة والدافعية التي تنشطهم وتوجههم نوح المشاركة الفعالة في حماية البيئة وتحسينها بما يتكون لديهم داخل بيئة الروضة من مشاعر الانتماء لها ولبيئتهم واتجاهات إيجابية نحوها.

٣ – المدرسة

المدرسة مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع عن قصد وظيفتها الأساسية تنشئة الأجيال الجديدة بما يجعلهم أعضاء صالحين في المجتمع الذي تعدهم له، وتعمل المدرسة على مساعدة الطفل على فهم أكثر لمسائل وموضوعات البيئة بما يتعدى حدود البيئة المحيطة، وكذلك إكسابه عادات احترام القوانين والسلوكيات التي من شأنها أن تؤدى إلى الحفاظ على البيئة ونظافتها العامة، وفى إطار ذلك فإن المدرسة يجب أن تعمل على تربية الطفل ما هو سوى من أنماط السلوك البيئي، مع التأكيد على أن هذه العملية يجب ألا تأخذ شكل التعليمات المحفوظة، وإنما يجب أن تقوم على الاقتناع والقدوة البيئية.

ومع الاعتراف بالمعوقات التي تجعل مهمة المدرسة الحالية عسيرة في أداء دورها المنشود في تربية الطفل بيئياً، فلكي تؤدى المدرسة دورها في هذا الصدد ينبغي أن يتوافر لها:

- منهج تعليمي مرن، يسهل تطبيقه، ويحسن إعداده وصياغته ويتضمن الدراسات البيئية مع تلبية احتياجات الأطفال وميولهم واستعداداتهم، وكذا تلبية احتياجات البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها من ناحية أخرى.

- التركيز على المواضيع البيئية المتخصصة التي تعتبر استكمالاً للمعلومات التي يحصل عليها التلاميذ وذلك من خلال تنظيم الرحلات والزيارات إلى المزارع، ونشر طرق التعليم الذاتي بين تلاميذ المدارس، وقصر دور المعلم على التوجيه العام.

- التأكيد على أهمية النشاط المدرسي، فعن طريق الهوايات المختلفة في المدارس تتسلل القيم البيئية لنفوس الأطفال دونما جهد كبير، فنحن بمقدرونا أن ننقل لأطفالنا ما نريد من قيم وسلوكيات بيئية بالرسم والشعر والتمثيلية والتربية الزراعية والمكتبة المدرسية التي تشمل كتب البيئة ومجلاتها المتميزة والمحببة للطفل.

- التوصل إلى صيغة ملائمة لإعداد المعلم القدوة الذي يرى فى حماية البيئة دعوة لا تقل أهمية عن تدريس العلم الخاص.

أن تقديم المناهج البيئية للدارسين في مختلف الصفوف، ومن خلال مختلف المواد الدراسية، يعتبر مدخلاً سليماً ومتكاملاً للتربية البيئية، فمن خلال التربية الدينية يتم تعرف الطفل على العديد من القيم الروحية والأخلاقية والاجتماعية الرفيعة، ومن خلال مناهج التربية الوطنية يتعرف الطفل على القيم الوطنية السليمة، ومن خلال مناهج المواد الاجتماعية، والجغرافيا، والعلوم يتعرف الطفل على مكونات البيئة الاجتماعية على مستوى الأسرة والمدرسة والمجتمع والعلاقات بين أفراد تلك البيئة، وكذلك يتعرف الطفل على مكونات البيئة الفيزيقية من أرض ومياه وهواء، والحفاظ على تلك البيئة وحمايتها من التلوث، كما يكتسب الطفل العديد من القيم الجمالية والصحية من خلال التربية الفنية والصحية والرياضية.

ويقع على المعلم دور كبير في تنمية المفاهيم والقيم الحميدة في نفس الطفل في محيط البيئة المدرسية وذلك من خلال الرحلات الميدانية والأنشطة غير المنهجية

فـــي التنبيه إلى الممارسات البيئية الخاطئة والترغيب فى السلوكيات البيئة المقبولة كالمحافظة على النظافة العامة وعدم إتلاف الممتلكات العامة والمحافظة عليها وعدم إلقاء النفايات في الشوارع لما لذلك من آثار سلبية متعددة منها التأثير على المنظر الجمالي للمدينة وحرمان الآخرين من الاستمتاع بالمكان.

ومـمـــا ســـبق يتضح أن للمدرسة أهمية في حياة الطفل وتربيته وتوعيته لمفهوم وأبعـــاد البيئة، ومن ثم يمكن تقديم مقترحاً تربوياً يتعلق بالتربية البيئية، وذلك على النحو التالي :

أولا : أهداف التربية البيئية :

١- توعية الأطفال بمفهوم البيئة في إطاره الشامل.

٢- دراسة القضايا البيئية بنظرة شاملة ومرنة.

٣- معالجة قضايا البيئة محلياً وإقليميا وقومياً وعالمياً.

٤- محاولة تقييم الوضع الراهن للبيئة، وتحديد مؤشرات وملامح المستقبل.

٥- التعرف على مكانة البيئة في الخطط الإنمائية بمستوياتها المختلفة.

ثانياً : إعداد مناهج التربية البيئية :

حيث يعتمد إعداد هذه المنهاج على أربعة مبادئ وهى :

١- سهولة التطبيق ومرونة المناهج والبرامج والمقررات.

٢- تكوين المربين الذين سيقومون بمهام تدريس مناهج التربية البيئية.

٣- سهولة إعداد المنـاهـــج.

٤- تكلفة الإعداد والتطبيق.

ثالثاً : مراحل تحقيق التربية البيئية :

لتحقـــيق التربية البيئية، لابد من اعتبار بعض المراحل التي يجب اعتمادها للوصول إلى الغاية وتتمثل هذه المراحل فيما يلي :

المـــرحلة الأولـــى : تـــتعلق بتنظيم لجنة تقوم بالمهمة مع تحديد مسئولية كل منهم وجمـــع المـــوارد التي سيتم استعمالها للغاية، كتب، مجلات.. وعلى اللجنة أيضاً أن تقيم مسبقاً كل الصعوبات التي قد تعترض عملها، مع إيجاد الحلول الملائمة.

المرحلة الثانية : تهتم بتقييم البرامج التربوية الموجود وكيفية استعمالها والاستعانة بها.

المـــرحلة الثالثة : يتم فيها تقييم الموارد المحلية والوطنية والقومية والعالمية التى يمكن الاعتماد عليها.

المـــرحلة الرابعة : يتم فيها تحديد البرنامج بكامل عناصره، وإيجاد الإطار المناسب للعمل.

أن التربـــية البيئـــية تساهم في رفع الوعي البيئي لدى الأطفال والطلاب، وتغيير العادات غير المرغوبة بيئياً، وتبديلها إلى سلوك إيجابي يساهم في تحقيق التنمية.

٤ – مؤسسات التنشئة الأخرى :

مـــثل الإذاعة والتليفزيون، و النادي، ومراكز الشباب، وقصور الثقافة، والسينما، والمـــتاحف، ودور العـــبادة، وغيرها وهى تكمل ما تقوم به الأسرة ورياض الأطفال والمدرســـة، وتعتبر هذه هي وسائل العصر الأوسع تقدما وانتشاراً وتأثيراً وبخاصة فـــي مجـــتمع ترتفع فيه نسبة الأمية، ولا تتسع مؤسساته التعليمية لاستيعاب جميع الأطفـــال- ولو في مرحلة التعليم الأساسي- ولا تتوافر فيه المكتبات العامة بالشكل الذي يغطى احتياجات الأطفال بالمعارف.

كمـــا أن دور أجهـــزة الإعلام في هذا الصدد وخاصة التليفزيون يتعاظم حيث إنه يخاطـــب حاستي السمع والبصر، حيث أصبح التليفزيون في الوقت الحالي جزءا لا يـــتجزأ مـــن بيئة الطفل، إذ يقضى الساعات الطوال في مشاهدته، فالطفل قادر على اســـتقبال إدراك محتوى البرامج التي يشاهدها منذ العمر الذي يستطيع فيه الجلوس أمـــام شاشـــة التلـــيفزيون، ومن ثم فيمكن تحديد السن التي يتأثر فيها طفل ما قبل المدرسة الابتدائية بالتليفزيون فيما بين الثانية إلى السادسة.

ولـــن يـــتحقق اســـتفادة الطفـــل مـــن التليفزيون على الوجه الأمثل إلا بمراعاة الخصـــائص الرئيسية لنمو الطفل في هذه المرحلة المتميزة من العمر ونظرة سريعة إلى أهم خصائص نمو الطفل في هذه المرحلة نحددها فيما يلي :

- قدرة الطفل على استيعاب ما يدور حوله من أحداث واختزانه داخلها.
- نمـــو لغـــة الطفل وعلى الأخص بداية من حوالي السنة الثانية والنصف من العمر.
- قدرة الطفل المحدودة على التركيز، إذ لا يمكنه الانتباه لشيء واحد في أكثر من دقائق معدودات.
- قدرة الطفل المحدودة على تذكر الأحداث المتتابعة، فإذا عرضت عليه عملية تتكون من عدة مراحل فإنه لا يتذكر سوى أول هذه المراحل وآخرها.
- اعـــتقاد الطفل بأن لكل شئ سببا، ومن ثم فهو دائم السؤال والبحث عن هذه الأسباب.

ويمكن للبرامج التليفزيونية فى ضوء هذه الخصائص أن تساهم فى تنمية جوانب الطفـــل العقلـــية المعرفية والوجدانية الانفعالية والجسمانية وبذلك يسهم مع التربية الأســـرية والتربية النظامية فى رياض الأطفال فى تحقيق هدف النمو المتكامل لطفل مـــا قبل المدرسة وتربيته وتنشئته بيئياً، ومن هنا يجب على التليفزيون أن يتخطى مســـئولياته التقليدية من أخبار وإعلام لتشمل الصحة والبيئة والأم والطفل والثقافة والمنوعات وغيرها.

وتأسيساً على تأصل التأثير الديني كوسيلة لبث السلوك البيئي السليم يبدو منطقياً وشديد المعقولية، ولا نكتفي هنا بالتركيز على دور العبادة فقط بل لابد من مشاركة كافـــة مؤسسات التوجيه في صنع هذا السلوك البيئي النابع من التعاليم الدينية، فلو أن الطفل المصري أخذ بالتوجيه الديني السليم منذ نشأته، واتبعت الوسيلة الملائمة لهـــذا التوجـــيه لتغلبـــنا علـــى كثـــير من المشكلات السلوكية البيئية التي تواجهنا، ولاختفى الكثير من السلبيات التي تؤثر على البيئة فى اتجاه التدهور والتدمير، ومن أمثلة هذه التوجيهات.

- "إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فليغرسها" (حديث شريف).
- "أَلَمْ تَر أَنَّ اللهَ سخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ" (قرآن كريم سورة الحج آية ٦٥).
- "وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً" (قرآن كريم سورة النحل آية٨).
- "الَّذِي جعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وسلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَى" (قرآن كريم سورة طه الآيات ٥٣، ٥٤).
- "والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ والْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" (قرآن كريم سورة يسن الآيات ٣٨، ٣٩، ٤٠).

وجدير بالذكر أنه يجب ألا تتعرض عملية التنشئة البيئة لأية تناقضات أو تعارض، بحيث يكون هناك توافق وانسجام بين المؤسسات التربوية المختلفة فيما تحاول غرسه من قيم بيئية، فالطفل الذي يرى في الأم عدم الاهتمام بنظافة طرقات المنزل أو حتى مساحات واجهة المنزل في الشارع لا يستطيع أن يستوعب بسهولة تعليمات الروضة أو المدرسة بعدم إلقاء المخلفات في الفناء أو طرقات ما بين الفصول، إذ يرى في هذا أمرا مستغربا، وكذلك لا يجب أن يكون هناك تناقض بين ما تبثه الإذاعة أو التليفزيون وبين ما يعيشه الطفل ويراه في بيئته، فالكل يجب أن يلتحم في منظومة واحدة تخلق من هذا الطفل الصغير بذرة صالحة.

فعلينا أن نغرس في نفوس أطفالنا حب البيئة والمحافظة على البيئة التي من حولنا عن طريق حب الخضرة والنظافة والجمال.

خاتمـــــــــــة

إن قضية البيئة والمحافظة عليها هى قضية إنسانية وبالتالي فهي قضية إسلامية وتـــربوية، لأن الإنسان هو موضوعها وهو غايتها ووسيلتها في نفس الوقت. وإذا كانـــت المشـــكلة فـــيما مضى هي حماية الإنسان من البيئة الطبيعية وعناصرها فقد أصبحت اليوم حماية البيئة وعناصرها الطبيعية والحيوية من الإنسان ولكن من أجل الإنسان.

أن العـــلاج يكمـــن فـــي ترشـــيد الإنسان والمجتمع أهدافاً وخطة وعملا. فالتقدم التكنولوجي لا يجوز أن يتحقق على حساب صحة الإنسان وسعادته وبقائه.

كمـــا لا يجـــوز أن نضـــحى بالأجيال القادمة من أجل تحقيق تقدم مادي واقتصادي مشكوك في نتائجه للجيل الإنساني المعاصر.

إن الـــنظرة الإســـلامية والتربوية المتكاملة للإنسان والمتحررة من التمركز على الذات زماناً ومكاناً هي سبيل الخلاص.

ومـــن أجـــل ذلك حرص الإسلام على اتخاذ كل ما من شأنه أن يؤدى إلى تحقيق هـــذه النظرة وجعلها واقعاً ملموساً. لذلك كان لابد من وضع المبادئ التالية موضع الاعتبار :

(١) تحســـن المعـــرفة العلمية والتكنولوجية لمعالجة الأضرار البيئية القائمة وليكن التخطـــيط التـــنموي محققاً لمصلحة الإنسان بمفهومها الشامل دون أضرار بالطبيعة والبيئة.

(٢) العمـــل على وضع التشريعات والقوانين البيئية اللازمة التي تعمل على حماية الأطفال من التعرض السيئ لتلوثات البيئة المختلفة : تلوث الهواء، التلوث السمعي، التلوث البصري، التلوث الأخلاقي.

(٣) الأخـذ بعين الاعتبار ضرورة المحافظة على البيئة صحياً وجمالياً عند دراسة مشاريع التنمية وإقرارها.

ومـن هـنا فإن الإسلام يرحب بكل مسعى دولي ومحلى وإقليمي في هذا المجال، ويدعـو إلـى تضـافر الجهود فى جميع الميادين لإقامة نظام دولي متوازن لحماية الإنسان وبيئته والمحافظة على حياة صالحة ومزدهرة للأجيال الحاضرة والمقبلة.

وفى الختام نوصى بما يلي :

(١) أن نغرس في نفوس أطفالنا مراقبة الله حتى ينتهوا عن كل قبيح.

(٢) أن نردد مع أطفالنا أن الله ناظر إلينا، والله شهيد علينا ومطلع علينا.

(٣) أن نعلم أطفالنا آداب الطريق، وإن لا يضرب الحجارة بقدمه، ولا يرميها بيده، وأن لا يبعث بممتلكات الناس التي يجدها في طريقة من زرع أو طير أو نحو ذلك.

(٤) أن نعلم أطفالنا ضرورة المحافظة على البيئة.

(٥) أن نعلـم أطفالـنا فضـل تنظـيف منزلنا ومدرستنا وتنظيف المساجد واخراج القمامة منها.

(٦) أن نعلم أطفالنا أن "إماطة الأذى عن الطريق صدقة".

المراجـــــــــع

(١) إبراهيم عبد الجليل : البيئة والتنمية- سلسلة اقرأ- العدد ٦٧٣- دار المعارف- القاهرة- ٢٠٠٢.

(٢) رجب سعد السيد : البيئة وصحة الإنسان- سلسلة اقرأ- العدد٦٩٢- دار المعارف- القاهرة- ٢٠٠٤.

(٣) صلاح بيومي : التنشئة والشخصية الطفل بين الواقع والمستقبل- سلسلة أقرا- العدد ٦٨٠- دار المعارف- القاهرة- ٢٠٠٢.

(٤) على الحوات : البيئة والطفل "مراجعة عامة"- مجلة الطفولة والتنمية- العدد ١٠- المجلد ٣- المجلس العربي للطفولة والتنمية- القاهرة- ٢٠٠٣.

(٥) كاميليا عبد الفتاح : رياض الأطفال مدخل لنمو الشخصية- وزارة التربية والتعليم- إدارة رياض الأطفال- القاهرة- ١٩٨٩.

(٦) مجلة الإعاقة والتأهيل : العدد الرابع- نشرة دورية يصدرها المركز المشترك لبحوث الأطراف الاصطناعية والأجهزة التعويضية وبرامج تأهيل المعوقين- الرياض- ١٤١٧هـ.

(٧) مجلة الأسرة : السنة الثانية عشرة- العدد ١٣٥- مؤسسة الوقف الإسلامي- المملكة العربية السعودية- ١٤٢٥هـ.

(٨) محمد عبد القادر الفقى : البيئة- مشاكلها وقضايا وحمايتها من التلوث- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- ١٩٩٩.

(٩) محمد محمود العطار : أطفالنا والقيم- مجلة النفس المطمئنة- السنة التاسعة عشر- العدد ٧٩- جمعية الطب النفسي- القاهرة- سبتمبر ٢٠٠٤.

(١٠)محمود حمدى زقزوق : الإنسان والقيم في التصور الإسلامي- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- ٢٠٠٤.

(١١)منى محمد على جاد : التربية البيئية في الطفولة المبكرة وتطبيقاتها- ط ١- دار المسيرة- عمان- ٢٠٠٤.

يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام- مكتبة وهبة- القاهرة- ١٩٨٥